

التربية في الأسرة الجزائرية في ظل التكنولوجيا الحديثة دراسة وصفية تحليلية على عينة من الأطفال في الطور المتوسط بالجزائر العاصمة

الأستاذ إيكوفان شفيق
جامعة- تيزي وزو

- مقدمة:

أثر التطور التكنولوجي الذي عرفه العالم في شتى القطاعات والمجالات بما في ذلك التربية، التي يجمع علماء النفس والتربية على أن الأسرة الحالية تعيش صراعا ثقافيا وتربويا من نشأتها، خاصة في دول العالم الثالث الحديثة العهد بالتكنولوجيا، حيث تتضح الهوية بين الأطفال المتمكنين والمتحكمين في هذه الأخيرة، وأولياهم الذين لا يتحكمون فيها، لتنعكس مباشرة على العلاقات التواصلية بينهما، فضلا عن التوجهات ونقاط الاشتراك، هذا ما خلق نوعا من التشتت الأسري وأجج خلايا الصراع التقليدية في الأسرة، فالحياة الأسرية تمتاز على مستوى وتيرة انسيابها عموما بالتلقائية، وكثيرا ما تعصف بتفاعلاتها اليومية مجموعة من الأزمات وتصيبها رجات عنيفة تتجلى بالتدرج بالموازاة مع نمو الأطفال وبلوغهم سن المراهقة بشكل خاص - في إطار ما يصطلح عليه في بعض المرجعيات السوسيولوجية " بصراع الأجيال "، والذي هو نتاج مباشر للتطور الرقمي من خلال الأنترنت.

يرى الكثير من العلماء والمختصين أن هروب الطفل من الإطار الأسري والاجتماعي التقليدي نحو فضاءات العولمة، له علاقة مباشرة ببنيوية السلوك الاجتماعي المستقبلي، وهو معيار سلبي لمستقبل الضبط الاجتماعي الذي تمارسه الأسرة على الطفل، وتبرز أهمية الدراسة من خلال جملة من الأهداف منها:

- 1 - معرفة مميزات الأطفال من الناحية الاجتماعية والثقافية ومدى تطابق هذا الواقع مع تفسيرات النظريات والدراسات العلمية.
- 2 - معرفة النظرة الحقيقية للمجتمع الجزائري للأنترنت وموقفه منها، ونقصد بهم الأولياء ممن لهم أبناء يستخدمون الشبكة.
- 3 - كيفية استخدام الطفل الجزائري للشبكة العنكبوتية من الجانب الثقافي والتعليمي، بين الطفرة الكبيرة للمعلومات المتوفرة في الشبكة، والطرق التي ينتهجها الطفل من أجل الاستفادة من هذه المعلومات.

عن المنهج الذي اخترناه في هذه الدراسة، فقد حاولنا تحديد أقرب منهج يصلح لطبيعة الدراسة، وخلصنا في النهاية إلى اختيار المنهج الوصفي التحليلي، ويستهدف المنهج الوصفي تقرير خصائص ظاهرة معينة، فهو يعتمد على بيانات يتم جمعها من أجل تقديم وصف للظاهرة التي يتم جدولتها وتبويبها، ثم يقوم الباحث

بتفسيرها. ⁽¹⁾، ويظهر المنهج الوصفي جليا من خلال مختلف جوانب البحث، حيث يمثل مصباحا لإنارة خطوات هذه الدراسة ومنطلقا أساسيا لفهم وتفسير سلوك مستخدمي الأنترنت من الأطفال، فالوصف هو الأكثر والأقرب تجسيدا لتفاصيل الظاهرة الاجتماعية. ⁽²⁾.

المنهج الوصفي أتبعناه بصيغة تحليلية، حيث لم نكتف بوصف الظاهرة كما تبدو للعيان، وإنما حاولنا تفسيرها، من خلال إسنادها لأسس علمية تجريبية كانت أو نظرية، وعملية التحليل هي التي تضيء الصبغة الخاصة للبحث وتكسبه قيمة النتيجة العلمية.

فيما يخص الأدوات التي استعملناها في إنجاز الدراسة، فقد اكتفينا باثنتين الأولى هي الاستمارة، والثانية هي الملاحظة، كما استعنا بتقنية حديثة هي المراقبة المركزية لأجهزة الكمبيوتر، لكن استعمالها جاء محدودا في بعض الأسئلة، فهذه التقنية لم تستخدم في البحوث والدراسات الجزائرية، وهي المراقبة المركزية لأجهزة الكمبيوتر، حيث اعتمدنا عليها بسبب طبيعة بعض الأسئلة، كتلك التي تسبب حرجا للطفل، أو شعورا بالخوف، ما تجعله يحرف الحقيقة وينحرف عنها، وتعتمد التقنية التي يطلق عليها باللغة الفرنسية **le control parentèle** على وصل أجهزة الكمبيوتر المرتبطة بالأنترنت بجهاز رئيسي تكون له سلطة المراقبة على كل النشاطات التي تقوم بها تلك الأجهزة عبر شبكة الأنترنت، سواء من ناحية المواقع التي يتم زيارتها أو من حيث البيانات التي يتم تحميلها، وهي تقنية وضعت في بادئ الأمر للعائلات في الدول المتقدمة لتمكينهم من مراقبة المواقع التي يزورها أبنائهم، قبل أن يستعين بها أصحاب مقاهي الأنترنت لمنع القصر من دخول المواقع الإباحية، لكن في الجزائر، الأغلبية الساحقة من أصحاب مقاهي الأنترنت عدلوا عن استخدام هذه التقنية لأسباب مادية، تتعلق أساسا بكسب أكبر قدر من الزبائن، وتجنب حساسياتهم إذا علموا باستخدام التقنية.

- مجتمع البحث والعينة:

نظرا لاتساع مجتمع مستخدمي الأنترنت في الجزائر سواء من ناحية الجنس والسن، أو المجال الجغرافي، حاولنا التركيز على الأطفال الجزائريين المستخدمين للأنترنت، داخل منازلهم أو في مقاهي الأنترنت، وسواء كان الاستخدام دائما أو عرضيا، وقد ركزنا على مقاهي الأنترنت لأنها المكان الأفضل لمستخدمي الشبكة، من حيث الحرية في الإبحار عبر الأنترنت وإمكانية ذلك لمن لا يملك خطا خاصا في منزله، دون إهمال حالات استخدامهما في المنزل والتي ركزنا عليها من خلال الاستمارة.

لذلك فمقاهي الأنترنت تعتبر الفضاء الأمثل لممارسة الحرية الكاملة في استخدام الشبكة. خاصة مع عزوف أصحاب مقاهي الأنترنت عن استخدام تقنية المراقبة المركزية لأجهزة الزبائن.

أما العينة التي اخترناها لتطبيق الدراسة فقد ترددنا في البداية نظرا لرغبتنا في أن تشمل دراستنا ولايات مختلفة من الوطن، ما يكسب نتائجها شرعية التعميم على كل الأطفال الجزائريين، غير أن إمكانيات الدراسة لم تسمح لي بذلك، وقد اخترنا من مجتمع الأطفال في الجزائر المستخدمين لشبكة الأنترنت، أطفال العاصمة من السن سبع سنوات إلى غاية 15 سنة. ونظرا لصعوبة تحديد عينة البحث أيضا بشكل دقيق، ارتأينا اختيار العينة عن طريق الصدفة، والتي يطلق عليها اسم "العينة العابرة" أو "العارضة" (3)، ورغم أن هذا النوع من العينات يؤخذ عليه عدم تمثيله لمجتمع البحث تمثيلا دقيقا ومحددا، إلا أنه يؤخذ له مساهمته في تحديد معالم مجتمع البحث المتمثل في الأطفال المستخدمين للأنترنت بالعاصمة الجزائرية.

تتكون عينة دراستنا من 100 طفل موزعين بشكل متوازن عبر ثماني بلديات بالعاصمة، إضافة إلى 100 عائلة من عائلات الأطفال الذين شملتهم الدراسة داخل مقاهي الأنترنت، وعلى هذا الأساس حضرنا نوعين من الاستمارات، الأولى قمنا بتوزيعها على الأطفال المتواجدين في مقاهي الأنترنت محل الدراسة، وقمنا بتفسير وشرح بعض الأسئلة التي ربما يصعب عليهم فهمها واستيعابها، في حين قمنا بشرح وتسجيل الأجوبة للأطفال الذين لا يجيدون القراءة ولا الكتابة من صغار السن، في حين كانت عينتنا الثانية هم أباء الأطفال المرافقين لأبنائهم إلى مقاهي الأنترنت، أو الذين لم يرافقوهم من خلال إرسالها عن طريق أطفالهم محل الدراسة. اخترنا العاصمة دون غيرها من الولايات لأنها تعتبر ملتقى الذهنيات على اختلافها، فهي تضم أحياء راقية وأخرى شعبية، وعائلات متعلمة وأخرى غير متعلمة، كما أن العاصمة كانت سبّاقة في استضافة أول مقهى للأنترنت بالجزائر في شهر سبتمبر 1997 من طرف شركة جيكوس Gecos المتخصصة في خدمة الأنترنت بالجزائر (4)، وبالتالي فالعاصمة تعتبر أكثر الولايات وأولها احتكاكا بإفرازات الأنترنت، لكن هذا لا يمنع من إجراء دراسات مماثلة عبر ولايات أخرى، بعدما انتشرت الأنترنت بشكل شبه متوازن عبر العديد من مناطق الوطن.

- تحديد مصطلحات الدراسة:

- الأثر:

يخط العديد من الباحثين والمهتمين بين مفهوم الأثر والتأثير، ونحن فضلنا استخدام مصطلح الأثر قصدا تجنبنا لاستخدام مصطلح التأثير الذي يفيد دلالات ومعاني أخرى، وي طرح مصاعب منهجية، ونقصد بالأثر، وقع الوسيلة على مستخدميها على مستويات عديدة، وما يتركه هذا الاستخدام من نتائج متباينة على المستخدم، والحقيقة أن معالم الأثر السوسيو- ثقافي للأنترنت أضحت بادية ترتبط بسياقات مختلفة، حيث يؤكد "نعمان أحمد" (5) على أن معالم الأثر السوسيو- ثقافي لتكنولوجيا الاتصال الحديثة في الجزائر ترتبط بسياقات مختلفة، سواء تلك التي ظهرت فيها تكنولوجيات الاتصال الحديثة، أو تلك التي تتلقاها، فيما يعرفه

معجم المصطلحات والمفاهيم التربوية، بأنه نتاج التعاطي مع شيء محسوس، سواء كان مباشراً أو ذا علاقة سببية بهذا الاستخدام، محدثة تحولات جديدة على المستخدم أو على المجتمع الذي ينتمي إليه، وهو أيضاً توظيف العمليات والمصادر لإشباع الحاجات أو من أجل التعلم <6>.

الأثر **Impact** ليس هو نفسه التأثير **Effet**، فالأول يعني أن الشخص النشط يهتم بالرسائل الإعلامية، وعند دراسة الأثر لا ننطلق من أحكام مسبقة، أما فيما يخص التأثير فإننا ندرس العلاقة الموجودة بين المرسل والرسالة والمتلقي، وتعتبر السينما الصامتة أول دراسة خُصت بالتأثير، أما أول دراسة أثبتت التأثير فهي دراسة التمثيلية الإذاعية سنة 1938، بإذاعة **CBS**، حول الغزو القادم من كوكب مارس.

- الاستخدام والاستعمال:

الاستعمال هو مجرد استعمال التقنية مرة واحدة أو مرات متفاوتة دون معارف أو قدرات للتحكم فيها، وهو لا يدخل في الممارسة الاجتماعية، أما الاستخدام فهو مرتبط بالممارسات ويصبح جزءاً لا يتجزأ من الممارسة الاجتماعية، ويستعان بدراسات الاستخدام من أجل وصف وتحليل السلوكيات المتمخضة عن العملية الاتصالية

لقد ظهر هذا المصطلح في فرنسا في القرن 17 وهو يشير إلى نشاط اجتماعي يتم ملاحظته بسبب تواتره، ويتمثل في استخدام شيء ما والاستفادة منه، إلى غاية محددة أو تطبيقه لتلبية حاجة ما، وفي مثل هذه الدراسات المتعلقة بالاستخدامات، فإنه يحيلنا إلى ممارسات وتصرفات أو عادات، واتجاهات. <7>، كما أن تكنولوجيا الإعلام مرتبطة بمصطلح الاستخدام أكثر منها بالاستعمال، حيث يرى **سعيد بومعزة** <8>، أن المجتمع أثناء قيامه بنشاط ما يخلق الطلب إلى المعلومات، فتقوم الأنظمة التكنولوجية بإشباعه.

- الدراسات السوسيو - ثقافية:

تزاوجت الدراسات الاجتماعية والثقافية مع نهاية القرن التاسع عشر، بعدما أنتبه علماء الاجتماع إلى النقاط المشتركة بين الظواهر الاجتماعية، وما تخلفه من آثار ثقافية على الأفراد، ومنذ ذلك الحين ارتبطت الدراسات الاجتماعية والثقافية ببعضها البعض، بالنظر لما تمثلانه من علاقة جدلية، تستدعي الأولى أخراها، فبدأت العديد من الدراسات تهتم بالجانبين على حد سواء وظهر ما يعرف بالدراسات السوسيو - ثقافية التي توحى بشراكة متوازنة بين الجانبين، ولا تقتصر الدراسات الاجتماعية على علوم محددة فقط، وإنما تعتمد على كل العلوم على اختلاف مشاربها، باعتبارها ذات علاقة بالفرد، حيث تضع الدراسات الاجتماعية نصب عينها البناء الفردي للمجتمع، والعلاقات الجدلية التي تربط هذين العنصرين، مع الأخذ بعين الاعتبار كل السياقات المحيطة بها <9>.

وجدت الدراسات الاجتماعية في ميدان علوم الإعلام والاتصال فضاءً خصبا، حيث أرتبط هذا الأخير بها بشكل كبير، وانتشرت البحوث التي تحاول تحليل علاقة الفرد بوسائل الإعلام، تحت تفسيرات اجتماعية، خاصة من ناحية الآثار التي تتركها هذه الأخيرة عليه، باعتبارها واحدة من بين أهم دوافع التغيير الاجتماعي، الذي يتأثر به الفرد في بناء سلوكه، ونمط تفكيره، وبدورها عرفت الدراسات الثقافية نموا سريعا منذ نهاية القرن الماضي وبداية القرن الجاري، بحيث برز هذا النوع من الدراسات في ظلّ تنامي الدراسات الاجتماعية.

هناك مفاهيم ضيقة لمصطلح ثقافة، يتم حصرها عادة في شقّها الفني فقط، معرّفة على أنها وسيلة تطوير الاكتشافات والأساليب العلمية أو المعرفة المنظمة لإنتاج أدوات معينة، وبغزل الثقافة عن سياقها البيئي والاجتماعي، وقطع صلتها بالاعتبارات الأخلاقية، فإننا نرتكب خطأ في معناها الحقيقي، فهي ليست مجرد أداة أو وسيلة يستخدمها الإنسان في حل مشاكله والتحكم في بيئته، بل هي العملية التي لا بد أن تتسع لتشمل الظروف الاجتماعية التي أفرزت هذه الأداة، وكذا الجوانب المختلفة لسلوك الفرد والمجتمع.

تشمل الثقافة حسب التعريف الوارد أعلاه على ثلاثة أبعاد، هي البعد النفسي، البعد التنظيمي، والبعد الثقافي الأخلاقي، فلا يمكن دراسة ثقافة الفرد خارج السياق الاجتماعي، لأنها تربطها به علاقة تأثير وتأثر، فكلاهما يمثلان صورة من صور التناغم، أو الجدل مع بعضهما **(10)**، ونعني بالدراسة السوسيو - ثقافية كل الآثار الناجمة عن استخدام الطفل للإنترنت في جانبيها الاجتماعي والثقافي، ونخصّ الجانب الاجتماعي في العلاقات الفردية والأسرية والاجتماعية، وأيضا نظرة المجتمع للإنترنت ودوره في مواجهة بعض المضامين التي تخالف مبادئه، وواقع الطفل الجزائري بين روادع المجتمع، ولذة الأنترنت، وهي لبّ الدراسة الاجتماعية التي سنتناولها من خلال هذا الدراسة، أما فيما يخص الجانب الثقافي، فإننا سنركز على ما تنتجه الأنترنت من أفكار ومعتقدات ومعالن الشخصية على الطفل المستخدم لها، ووقع الثقافة الجديدة على الطفل، الأسرة، والعلاقات الاجتماعية، فضلا عن تناول طبيعة هذه الثقافة المستوردة عبر الشبكة من خلال تحليلها وعرض العملية التفاعلية كما هي، واستخلاص النتائج الحالية والمستقبلية لهذا التمرّج الثقافي الحاصل.

- الأنترنت:

أحدثت الأنترنت نهاية القرن الماضي وبداية القرن الجاري جدلا واسعا في تحديد مفهومها، بعدما انتشرت عبر جميع ميادين الحياة، فعرفها البعض من جانبها التقني، والبعض الآخر من جانبها الفني، فيما عرفها آخرون من جانبها الاجتماعي، وغيرهم من حيث شقّها الثقافي، ورغم تعدد التعاريف، وعدم وجود تعريف شامل وواف، إلا أنها ظلت تصبّ كلها في معاني حقيقية للأنترنت، وتوفرت في فترة وجيزة على آلاف التعاريف المختلفة في شكلها والمتجانسة في مضمونها، متجاوزة

سابقتها من المصطلحات في عدد المفاهيم، حتى تلك التي كانت تترجع على أكبر قدر من التعاريف.

لقد لمسنا حرجا كبيرا من طرف المراجع التي فشلت في توحيد مفهوم الأنترنت، فهناك وفرة من التعريفات التي يقدمها الخبراء والعاملون في مجال الاتصال والمعلومات، يكاد يكون من الصعب حصرها، نظرا لاختلاف التخصصات، والاهتمامات والاستخدامات، غير أن العديد منهم يشتركون في كونها دائرة معارف عملاقة، تمكن المشتركين فيها من الحصول على معارف ومعلومات حول أي موضوع كان، على شكل نص مكتوب أو صور أو شريط فيديو، وتضم هذه الدائرة المعرفية الملايين من أجهزة الحواسيب تتبادل المعلومات فيما بينها.

«11»

يرى محمد العقابيري في الأنترنت معنى الطرق السريعة للمعلومات وهي مرادف لمصطلح الشبكة الإلكترونية المعوضة للمعاجم المعرفية التقليدية. «12» بدوره يصف كرول **Kroll** الأنترنت من خلال ثلاثة طرق تجمع وظائف وخصائص الشبكة وهي

- الأنترنت كنظام الشبكات، تعمل وفق بروتوكول **IP/TCP**
- الأنترنت كمجتمع من الأشخاص يستخدمونها ويطورونها
- الأنترنت كمجمل الموارد الموضوعية، تحت تصرف الأشخاص، إذن الأنترنت لها أبعاد تقنية، وإنسانية ومعلوماتية.

هناك من الباحثين من يعرف الأنترنت على أنها شيء موجود دون أن تكون شيئا محددا، فهي من ناحية شبكة خدماتية معلوماتية ومن جهة أخرى مجرد مجموع لأجزائها المحددة، ويشبه بعض الباحثين التغييرات والآثار التي تتركها الأنترنت في حياة الناس وثقافتهم، بتلك التي أحدثها التلفزيون في نهاية الخمسينات ما جعل الكثيرين يعرفونها على أساس تأثيرها على الأفراد.

ولكي لا نطيل في سرد مزيد من التعاريف، نحاول تلخيص مفهوم الأنترنت في التعريف الذي أورده "**محمد لعقاب**" بكونها شبكة معلوماتية تقنية بعيدة المدى، تضم كل الشبكات سواء محلية أو دولية، تستخدم لغة التواصل المسماة بروتوكول الأنترنت، وبروتوكول التحكم في النقل. «13»

- الطفل:

يحدد العلماء المراحل العمرية للإنسان بست مراحل متفق عليها وهي مرحلة الرضاعة، التي تنتهي عادة في سن الفطام وهو سنتين، ثم مرحلة الطفولة التي تمتد من سن الثالثة إلى غاية 15 سنة، وسقف هذه المرحلة غير ثابت، إذ قد تنخفض عند بعض الأطفال وقد تطول عند آخرين، ثم تأتي مرحلة المراهقة التي تبدأ عادة من سن 15 سنة إلى غاية 22 سنة تقريبا، وهي الأخرى مرحلة غير ثابتة لدى كل الأشخاص لتبدأ مرحلة الشباب، التي تمتد إلى غاية نهاية الأربعينات تليها مرحلة الكهولة، التي تنتهي عادة في أواخر الخمسينات لتختم المرحلة العمرية للإنسان

بالشيخوخة، وكما سبق الإشارة إليه فقد تمتد مرحلة عن أخرى وقد تنقص أيضا، حسب عوامل عديدة، وبالنسبة لدراستنا إختارنا مرحلة الطفولة التي تتميز بخصائص مميزة.

- مجتمع المعلومات:

اقترن مصطلح مجتمع المعلومات ببلوغ الثورة التكنولوجية ذروتها، حيث ولد من رحمها مجتمع مرتبط بها بشكل كبير، ويعتمد عليها بصورة أساسية، ما جعل العديد من العلماء يطلقون عليه اسم مجتمع المعلومات، هذا الاختلاف في تحديد المصطلح يأتي من تعدد الرؤى المستقبلية، والمصالح السياسية والاقتصادية⁽¹⁴⁾.

ما يميز مجتمع المعلومات بشكل أساسي هو وجود المعلومة التي تتوفر بشكل دائم وكبير وسهل جدا، وهو ما نسميه عادة بالانفجار المعلوماتي أو التراكم المعرفي⁽¹⁵⁾، وينقسم هذا المصطلح إلى قسمين، الأول هو مجتمعي ونعني وجود مجموعة من الناس يشتركون في خصائص معينة وتربطهم مصالح موحدة، ولا يشترط في المجتمع تحت المنظور الإلكتروني أن تجمعهم رقعة جغرافية واحدة وهو ما يميزه عن المجتمع الكلاسيكي، بل يكفي أن يتواصل أفراد عن طريق قنوات تكنولوجية يشتركون في استخدامها، والشق الثاني من المصطلح هو المعلوماتي، ويشير هذا الشق إلى خصائص هؤلاء الأفراد المعتمدين بشكل أساسي على المعلومة.

نقصد بمجتمع المعلومات، كل الأفراد الذين يشتركون فيما بعضهم باستخدام شبكة الأنترنت، كإحدى أهم الوسائل التكنولوجية الراهنة، وهو مجتمع لا ينحصر في رقعة جغرافية واحدة، وإنما قد يسود كل العالم في أماكن مختلفة، لكنهم يشتركون بعضهم البعض في اقتسام المعلومة واستخدام الشبكة كقناة لتداولها أو التعريف بها، ومجتمع المعلومات محدد في دراستنا بالمجتمع المعلوماتي الجزائري، لكنه تحديد جغرافي لا غير، لأننا عندما نتحدث عن مجتمع المعلومات بصفة عامة، فإننا نلغي الحدود ونعطي الأولوية لخصائص هذا المجتمع الجديد، التي تتمثل أساسا في انفجار المعرفة التي تتكاثر ولا تتناقص وزيادة أهمية المعلومات، وظهور مبتكرات تكنولوجية متطورة، وكذا نمو المجتمعات والمنظمات المعتمدة على المعلومة والاستغناء على الورق كوسيلة لنقلها أو الاحتفاظ بها.

- أهم نتائج الدراسة:

- أولا : الآثار السوسيو - ثقافية الإيجابية لاستخدام الأنترنت على الطفل الجزائري:
- أ - الآثار الاجتماعية الإيجابية لاستخدام الأنترنت على الطفل الجزائري:
- التفتح على العالم:

مكنت شبكة الأنترنت الطفل الجزائري على غرار الشباب ومختلف شرائح المجتمع من التفتح على مختلف الحضارات وربط علاقات اجتماعية تتخطى الحدود الجغرافية، فالطفل الجزائري تمكّن بسرعة من التعاطي مع هذه الأخيرة واستخدامها

في عملية التواصل، دون أن يقيّد نفسه في حدود العلاقات القريبة المتمثلة في رفقاء المدرسة أو الأقرباء، بل وسّع من العلاقات الاجتماعية الافتراضية لتشمل مختلف الأفراد عبر ربوع العالم، فمن أصل عينة الأطفال المدروسين يوجد 83 % منهم يرغبون في التعرف على أصدقاء جدد عبر شبكة الأنترنت، في حين يقضي 75 % منهم وقتاً أطول في الحديث عبر الشبكة، كما سمحت لهم بالتعرف على طرق العيش في المجتمعات الأخرى والتطلع لعيش حياة شبيهة بحياة هؤلاء في عديد من الجوانب الاجتماعية، وهي الرغبة التي أبدّاها 48 % من الأطفال المدروسين، هذا الانفتاح يحمل إيجابيات عديدة إذا تم استغلاله بشكل صحي، حيث يساعد الطفل على تنمية علاقاته الاجتماعية وتفعيلها بشكل دوري، ما يطور قدراته الاتصالية فيصبح أكثر اجتماعية بغضّ النظر عن المجتمع الموجود فيه.

- التفاعلية الاجتماعية:

من أهم الإفرزات الإيجابية لاستخدام شبكة الأنترنت على الطفل الجزائري تفعيل العلاقات الاجتماعية وتواصلها بشكل دائم، فمن خصائص الشبكة أنها جامعة للعملية الاتصالية في أي وقت ومكان ما يسمح للطفل بالتواصل مع غيره خارج مجال الاتصال المباشر وجها لوجه، فأصبح الطفل بإمكانه الاتصال مع أصدقائه أو معارفه من داخل المنزل، كما أن العملية الاتصالية التي تتم عبر الأنترنت تمتاز بعفوية أكثر من نظيرتها المباشرة، حيث أكدت العديد من الدراسات إلى جانب ما أثبتته الواقع، أن الطفل يكون أكثر صراحة وشجاعة في حديثه عبر الشبكة، فهو يعلم أن الاتصال يتم بصورة غير مباشرة ويمكنه توقيفه في أي لحظة شاء، ما يعطيه شجاعة كبيرة في إبداء رأيه وما يختلج نفسه، وهو ما لا يتمتع بها في اتصاله المباشر بغيره.

فقد فضّل 51 % من أطفال العينة الاتصال عبر الشبكة، في حين فضّل 29 % منهم الاتصال بنوعيه المباشر وغير المباشر عبر الشبكة، هذه التفاعلية وإن أمكن أن تأخذ أبعاداً غير مرغوب فيها، إلا أنها تعمل على إخراج الطفل من الضغط الذي قد يمارسه عليه المجتمع في علاقته بغيره، فالأنترنت توفر نوعاً من الحرية في التعامل والحديث وتمنح الطفل شعوراً بالانتماء، يجعله يعبر عما يختلج صدره بشكل أكبر.

- تعلم مهارات التواصل والحوار:

الأنترنت سمحت للطفل الجزائري بتجاوز عقبات الاتصال، ومن أهمها الخجل والخوف، فمكنته الشبكة من تفعيل مهارات التواصل، ومنحته أساليب جديدة لا يجدها في الاتصال المباشر وجها لوجه، كما أصبح يستعين برموز وصور تعوّض في العديد من الأحيان اللغة والتعبير، إضافة إلى القاموس الإلكتروني الذي يصاحب المستخدم للأنترنت، في كل حين يتميز بسرعة الترجمة وسهولتها، هذه التقنيات تطور مهارات الاتصال لدى الطفل، خاصة إذا كانت العملية الاتصالية تتم

بين الطفل الجزائري وآخر لا يتكلم نفس لغته، ما أطاح بأهم عوائق الاتصال المباشر وهي اللغة التي عوضتها التكنولوجيا الحديثة بتقنيات بديلة. أوضحت إجابات الأطفال المدروسين أن 32 % منهم يعتمدون في العملية الاتصالية التي تجمعهم بأشخاص لا يتكلمون نفس لغتهم على الرموز، فيما يعتمد 18 % على الصور، في حين يلجأ 50 % منهم إلى ترجمة الرسائل إلى لغتهم التي يتكلمون بها، يتبين لنا من خلال ذلك ما توفره الشبكة الإلكترونية من فرص كثيرة في تفعيل العملية الاتصالية لدى الطفل، ملغية جلّ العوائق الاتصالية التي عرفتها العملية خارج الوسائل التكنولوجية كاللغة والخوف أو الخجل.

- ديناميكية العلاقات الاجتماعية:

صحيح أن الأنترنت تلقت انتقادات بشأن ما تساهم به في القطيعة الاجتماعية الكلاسيكية بين الأفراد المستخدمين للشبكة ومن لا يجيد استخدامها، إلا أنه قليل من ينكر دور هذه الأخيرة في تفعيل العلاقات الاجتماعية واستمراريتها، فالطفل الجزائري الذي كان يقتصر في اتصاله بمعارفه خارج الأسرة بما توفره أسوار المدرسة أو الشارع فقط، أوجد لنفسه فضاء آخر يشارك غيره في العملية الاتصالية دون أن يعرض نفسه لمخاطر الشارع، فهو يتصل ويحاور ويتبادل الأفكار ويتسلى باللعب والصور من منزله، فعاد الطفل إلى المنزل من جديد بعدما كان يفر منه إلى الشارع، فما عجزت عنه الألعاب الكلاسيكية وحتى التلفزيون في إغراء الطفل بالجلوس ساعات طويلة داخل البيت، تمكنت منه الأنترنت بجدارة.

- الشعور بالحرية والتحرر:

منحت الأنترنت للطفل الجزائري شعورا غريبا بالحرية وثقة عظيمة بنفسه لم يكن يتمتع بها من خلال الاتصال المباشر وجهها لوجه، وهو ما جعله يتعلق بها أكثر فأكثر ويسعى لكسب أصدقاء جدد عبرها، فالطفل الجزائري أصبح يشعر بذاته ويحس بدوره في المنظومة الاجتماعية، من خلال إيصال آرائه والإحساس أن غيره يطلع عليها ويبدى لها اهتماما، فأكثر من نصف عينة أطفال الدراسة يفضلون التواصل عبر شبكة الأنترنت، في حين يفضل 29 % منهم كل من الاتصال المباشر وجهها لوجه، والاتصال عبر الشبكة معا، فيما لا يزيد عدد الأطفال الذين يفضلون الاتصال المباشر وجهها لوجه 20 % فقط، هذا التفضيل للأنترنت في عملية التواصل راجع إلى المميزات التي وجدها الطفل الجزائري في الشبكة، لدرجة أن 75 % من عينة الأطفال يقضون في الحديث مع أصدقائهم عبرها أكثر مما يقضونه معهم وجهها لوجه، وبالرجوع إلى علاقات الأطفال ببعضهم البعض قبل ظهور الشبكة، نجد أنها مقصورة في أوقات محدودة وتتضمن مواضيع تافهة وروتينية، في حين تطورت علاقات الأطفال عبر الأنترنت، لتصبح مستمرة وثرية بالمواضيع التي تحمل فوائد شتى، سواء تعليمية أو ترفيهية.

- الترويج عن المشاكل الداخلية:

تقوّت العلاقة بين الطفل الجزائري وشبكة الأنترنت إلى درجة اعتبارها وسيلة من وسائل الترويح عن المشاكل والبحث عن حلول ونصائح من أشخاص قد يعرفونهم وقد لا يعرفونهم، هذا السلوك لا يمكن فهمه وتحليله بنظرة مقتضبة، بل يحتاج إلى دراسة نفسية اجتماعية معمقة حول الظروف والدواعي التي تجعل من الطفل الجزائري شأنه شأن العديد من أطفال العالم إلى الانتماء لمن وراء الشاشة والفضفضة لهم.

لقد اعترف 58 % من الأطفال المدروسين أنهم يأتّمون أصدقاءهم ومعارفهم عبر الشبكة بأمور يخفونها عن أهلهم، سواء بصورة دائمة أو أحيانا، ورغم ما في هذا السلوك من أخطار تحوم حول الطفل فيما قد يتعرض له أثناء حديثه إلى الغير، لكن قد يجنبه أيضا مضاعفات أخرى يتعرض لها في حال كبت تلك الأسرار، فانقطاع العلاقة بين الطفل الجزائري وأسرته واضح بدليل عدم مصارحته لهم بخصوصياته وما يختلج صدره، فقد يكون الشخص المؤتمن عبر الشبكة شخص سويّ أو صديق وفيّ، يساعده في حل مشاكله وينصحه بالحلول الممكنة، الأمر الذي يجنبه اللجوء إلى بعض الآفات الاجتماعية للهروب من مشاكله كالتدخين أو المخدرات، فالأنترنت في بعض الأحيان تقوم بدور إيجابي في ظلّ سلبية دور الأسرة والمدرسة في متابعة الطفل وقراءة أفكاره.

ب - الآثار الثقافية الإيجابية لاستخدام الأنترنت على الطفل الجزائري :

برز الإشكال حول إمكانية اعتبار التطور التكنولوجي الحاصل شكلا من أشكال الإنتاج الثقافي، وزاد الإشكال حدة في مدى اعتبار الأنترنت مصدرا ثقافيا إيجابيا لعموم مستخدميها عامة والطفل خاصة، ويمكن حصر أهم الآثار الثقافية التي نتجت عن استخدام الطفل الجزائري لشبكة الأنترنت في النقاط التالية:

- تنمية ثقافة الطفل:

استعان الطفل الجزائري بدوره بشبكة الأنترنت لاستغلال هذه الخصوصية في تنصيب علاقات اجتماعية، حيث يفضل 83 % من العينة البحث عبر الشبكة، مبررين ذلك بكونها أسهل طريقة لعملية البحث، هذه التكنولوجيا الحديثة في تقديم المعلومات تمتاز بالسهولة والدقة والجاذبية، ما يجعلها ترسخ في ذهنه وتساعد على استرجاعها متى شاء، فتقافة الطفل لم تعد مقتصرة على ما تقدمه بيئته المحلية فحسب، وإنما أصبحت مفتوحة على ثقافات متعددة كل واحدة منها تحمل خصوصية مختلفة، فيثري الطفل ثقافته بمعلومات مختلفة تجعلها لينة وقابلة للتطور والتعاطي مع كل المستجدات.

- اكتشاف المواهب وتطويرها:

تمكنت شبكة الأنترنت من تبنى مواهب الأطفال وتحفيزهم على التمسك بها، ومساعدتهم على تطويرها. فبعدما كانت هذه المهمة مسؤولية الأسرة والمدرسة، سحبت الأنترنت هذا الدور منها واحتكرته لنفسها، فبعض المواقع البناءة تساعد الطفل على اكتشاف مواهبه وإمكانياته الدفينة وتقوم بمتابعته عن بعد في تجسيدها

مع تقديم النصائح له، وأكثر من ذلك تدريبه على تطويرها، وتمنح له فرصة عرضها والدخول بها في منافسة الأطفال الآخرين الذين يملكون مواهب متشابهة.

- الذكاء والذكاء المبكر:

أكد العديد من الخبراء والمختصين في علم النفس و علم النفس الاجتماعي أن الأنترنت تطور ذكاء الطفل بشكل كبير، وقد أوجدت هذه الأخيرة أيضا ذكاء مبكرا لدى العديد من الأطفال الجزائريين بفضل مستوى البرامج التي يتلقاها من خلالها، فتجدهم على معرفة كبيرة بتقنيات الشبكة ويبحرون عبرها بسهولة بالغة، ويتعاملون بقدرة كبيرة في ممارستهم للألعاب الإلكترونية المعتمدة على الذكاء والبديهة بشكل أساسي، فالأنترنت تنمي الذكاء المعرفي لدى الطفل، لكونها وسيطا نوعيا في تنمية القدرات الإدراكية وتطويرها. <15>

- إعادة إنتاج الثقافة المكتوبة:

تساهم الأنترنت خاصة تقنية البريد الإلكتروني، حسب العديد من الباحثين في إعادة إنتاج الثقافة المكتوبة على شكل سلسلة من الرسائل تساهم في تطوير مهارات الاتصال والكتابة.

- دعم التعليم، والتحصيل المدرسي:

لا شك أن دعم التعليم والتحصيل الدراسي استفاد بشكل كبير من خدمات شبكة الأنترنت، التي قدمت له دعائم متنوعة جعلته في متناول متصفحها، فهذا العصر يشهد امتدادا هائلا لقارة الأنترنت، والتي تشكل مكتبة ضخمة من المجلات تتوسع بشكل متسارع وتعرف يوميا قادمين جدد نحوها من كل أنحاء العالم، فالطفل لا يصبح مستقبلا في المدرسة فحسب، إنما يصبح مرسلا ومستقبلا، والمعلم يصبح مرسل ومصمم للبيئة التعليمية ومخططا لأسلوب العمل، ومن أهم فوائد الأنترنت على العملية التعليمية :

- استشارة اهتمام التلاميذ ومراعاة إشباع حاجاتهم التعليمية، وزيادة خبراتهم من خلال إشراكهم في العملية بأكثر من حاسة واحدة.
- تحسين المردود التعليمي عند الطفل في العلوم الرياضية والإملاء، فهي تجعل التعليم أسهل وأسرع وهو ما كشفت عنه دراسات حديثة أخرى
- تطوير مهارات المعلمين من خلال إسقاط التكنولوجيات الجديدة والمعلومات المواكبة لها على مدركاتهم العلمية.
- يستعيد الطفل بفضل الأنترنت متعة التعلم والبحث، فتراجع نسبة التسرب من المدرسة وقلة الاستيعاب.

هذه الفوائد الجمة للأنترنت على عملية التحصيل العلمي لدى الأطفال، لا تنطبق للأسف كاملة على الأطفال الجزائريين لأسباب تتعلق باستخدام التقنية ومستوى التكوين لدى المعلم، لكن رغم ذلك لم يتوان الطفل الجزائري في استغلال الشبكة في تدعيم دروسه، فنسبة 49 % من أطفال العينة يرون أن الأنترنت

تساعدهم في حلّ واجباتهم المدرسية، وبالتالي دعم تحصيلهم التعليمي في حين يرى 30 % ذلك أحيانا. كما يفضل 83 % من الأطفال المدروسين البحث عبر الشبكة، مقابل 6 % فقط ممن يفضلون طرق البحث التقليدية، و11 بالمائة منهم يفضل الطريقتين معا.

- ثانيا : الآثار السوسيو- ثقافية السلبية لاستخدام الأنترنت على الطفل الجزائري
على قدر ما يسفر عنه استخدام الأنترنت من أثارا إيجابية لا يمكن إنكارها على الطفل الجزائري من الناحية السوسيو - ثقافية، فإنها تحمل في المقابل أيضا أثارا سلبية، ولا تقتصر سلبيات الأنترنت على مجتمع دون آخر، أو دولة دون غيرها، ويبقى الجانب الاجتماعي والثقافي أهم جانبين أحدثت فيهما الأنترنت تغيرات غير مرغوب فيها، باعتبار أن هذه الأخيرة تخاطب فكر المستخدم بالدرجة الأولى، ويعمل هذا الأخير بمعية قرنائهم من المستخدمين للأنترنت على إحداث التغيير في بنية الثقافة العامة للمجتمع، لتنتشر هذه الأفكار بين الخلايا الاجتماعية إلى أن تأتي على مواقف الأغلبية.

أ - الآثار الاجتماعية السلبية لاستخدام الأنترنت على الطفل الجزائري :

تتعدد الآثار السلبية للأنترنت على الطفل الجزائري باعتباره شريحة مهمة من شرائح المجتمع بشكل يصعب في العديد من الأحيان عزلها عن الآثار الثقافية التي تحدثها تلك الأخيرة، نظرا لتداخلهما. هذه الآثار تظهر العديد منها على أرض الواقع، في حين يتأجل ظهور بعضها الآخر إلى أجل متقدم، فالأنترنت التي دخلت على المجتمع الجزائري المحافظ بأفكار وسلوكيات جديدة، كان منطقيا أن تحدث في نسيجه خللا ما، فمجتمع المعلومات الجزائري أصبح متميزا عن المجتمع الكلاسيكي في حديثه، وتفكيره وأهدافه وحتى في العلاقات القائمة بينهم.

- تفطيت الاتصال:

انقسم الجمهور الواحد العريض إلى عدد كبير من الجماعات الصغيرة ذات الاتجاهات المتباينة. ومكنت الأنترنت اليوم مستخدميها من الاتصال حتى بأشخاص افتراضيين والعيش في مجتمعات خيالية لا أساس لها من الواقع، والمشكلة الحقيقية أن الطفل الجزائري أصبح يمضي وقتا طويلا أمام شاشة الكمبيوتر، يبحر عبر عوالم خيالية، كلعبة "world of warcraft" التي تضم ما يزيد عن 11 مليون زائرا معظمهم من الأطفال، وقد أبدى 48 % من العينة أنهم تمنوا فعلا أن يعيشوا في عالم آخر شاهدوه عبر شبكة الأنترنت وأعجبهم، وهو إعجاب يترجمه واقع نفورهم من عالمهم المحسوس، الذي أصبح حسبهم غير مؤهل للوصول بهم إلى تطلعاتهم.

- تراجع السلطة الأبوية والتربوية:

تعتبر الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتفاعل مع أعضائها، وبالتالي فهي تؤثر على النمو الشخصي في مراحله الأولى سابقة بذلك أي جماعة أخرى حيث تعد المسؤولة عن بناء الشخصية الاجتماعية والثقافية، بل

إن تأثيرها ينفذ إلى أعماق شخصية الطفل ويمسها في مجموعها، وبالتالي فهي العملية التي يتم من خلالها تعليم وتدريب الطفل على أداء الأدوار المنوطة به اجتماعيا على مستوى الأسرة والمجتمع.

لم تعد الأسرة تلك المؤسسة المهيمنة على سلوك وتفكير الطفل، ولم تصبح المرجعية الأساسية لهذا الأخير في البوح بأسراره والاستشارة فيما يفكر فيه، فالإنترنت أخذت الطفل من حضن الأسرة والمجتمع والمدرسة، وقدمت له عالما كاملا متكاملا يجد فيه كل ما يرغب ويفكر فيه، والحقيقة أن الإنترنت لم يكتف بالمشاركة في تنشئة الطفل، وإنما يؤكد الواقع أن هذا الدور الذي تلعبه الإنترنت يتسع على حساب دور الأسرة والمدرسة، وفي هذا الصدد يفضل 85 % من أطفال عينة الدراسة استخدام شبكة الإنترنت في أماكن لا يمارس فيها أولياؤهم الرقابة عليهم، كمقاهي الإنترنت أو لدى الأصدقاء، وهذا رغم امتلاكهم للشبكة في المنزل، وعادة ما يشارك الآباء بمسؤولية مباشرة بدورهم في قطع الصلة مع الأطفال، حيث أكد 83 % من أطفال العينة أن أولياءهم لم يسبق لهم مرافقتهم إلى مقاهي الإنترنت أو لدى أصدقائهم بغية استخدام شبكة الإنترنت.

تتطور هذه القطيعة لدرجة أن يتعود الطفل على غياب الأولياء في ممارسة الرقابة والتتبع، فتتير محاولة عودتهم لتقمص هذا الدور سخط الطفل الذي أخذ على غياب والديه في استخدامه للإنترنت، كما يخفي 53 % من أطفال العينة عن أوليائهم العلاقات التي يربطونها مع غيرهم عبر الشبكة وهو ما يرهن سلوكياتهم وسلامتهم الأخلاقية، لذا فعدم اهتمام الأسرة بتفاصيل أطفالها، وصل إلى درجة أن العديد من أبنائهم الذين يلجؤون إلى مقاهي الإنترنت لاستخدام الشبكة، يدفعون تكاليف الاستخدام من أموال يحصلون عليها بطرق مشبوهة، وهو ما ينطبق على 82 % العينة.

ب - الآثار الثقافية السلبية لاستخدام الإنترنت على الطفل الجزائري :

في عصر تلاشت فيه الحدود الثقافية بين الدول، تلعب وسائل الإعلام دوراً كبيراً في بناء شخصية الطفل وثقافته وقيمه، ولأن ثقافة الطفل لا تنحصر في كونها وسيلة للتثقيف فحسب، بل تتعداها لمجال أوسع وأشمل للمنظومات الفكرية والاجتماعية والسلوكية، أي أنها تدخل في صلب التربية بكل أبعادها، حيث أن الإعلام هو عالم قائم بذاته، له أهدافه ورسائله ووسائله المتعددة والمعروفة وأبرزها التلفزيون الذي يواجه اليوم منافساً قوياً هو الإنترنت، وهما معاً من أكثر الوسائل الإعلامية تأثيراً على مجتمع اليوم بشكل عام، فمرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة الإنسانية وأكثرها تعقيداً، فيها يجمع الطفل ويراكم المعلومات والمعارف التي تترك آثارها على شخصيته حتى في سن الرشد، لكن هذا التأثير والعلاقة المتزايدة بين الطفل وشبكة الإنترنت، أوجدت إفرازات ثقافية غير مرغوب فيها، تهدد المنظومة الفكرية للطفل ومن بين هذه الآثار:

- إحياء غريزة العنف وتطويرها:

تحمل شبكة الأنترنت العديد من المضامين الممجة والمحرضة على العنف وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة، والطفل هو أول ضحايا هذا الاستهداف وأكثر الشرائح الاجتماعية تأثراً به، وقد أثار العديد من الباحثين الاجتماعيين وعلماء النفس هذه القضية، وبيّنوا بما لا دور العديد من المضامين في تأجيج غريزة العنف عند الطفل يبدي الكثير من الآباء خوفاً متزايداً بعدما لاحظوا أن أبناءهم يميلون إلى العنف من خلال استخدامهم لشبكة الأنترنت، والتعاطي مع بعض المضامين خاصة الألعاب الإلكترونية التي تعتمد بالأساس على العنف كالشجار، أو يسارعوا إلى التعبير عن غضبهم لأسباب بسيطة، أو يميلوا إلى معاقبة أنفسهم بالإضراب عن الطعام يتخوفون من أن يتطور العنف لدى أبنائهم إلى انحراف وإجرام عند الكبر.

أما بخصوص الأطفال الجزائريين، وتبعاً للإجابات التي استقيتها من العينة يتبين لنا أن 51 % من الأطفال يفضلون الألعاب الإلكترونية في استخدامهم للشبكة، وبعد تصفح أكثر الألعاب الإلكترونية شيوعاً لدى الأطفال المدروسين وهي "Grand Theft Auto" التي استقطبت 31 % من الأطفال، ولعبة "call of duty" التي تكررت لدى 28 % من الأطفال، وكذا لعبة "World of Warcraft" التي رصدت 25 % من مستخدمي هذه الألعاب من العينة تحمل في مجملها متعة العنف وترويضاً على مناهج القتل والمطاردة، فالطفل الجزائري الذي شبّ على هذه المبادئ لا بد وأن تنعكس في سلوكه، وهو ما لاحظناه في طريقة لعب بعض الأطفال بخصوص اللعبة الأولى حينما تجتمع المتعة كاملة في ارتكاب جريمة القتل، ولعل أبسط مثال بقي راسخاً في ذاكرتنا هي صورة أحد أطفال العينة الذي لا يزيد سنه عن 6 سنوات، والذي كان يلعب رفقة صديقه لعبة "Grand Theft Auto" التي تمكّن اللاعب من الاعتداء على المارة في الشارع وسرقة مركباتهم، يترجى صديقه الذي كان بصدد استلام الدور منه أن يتركه إلى أن يريق دم ضحيته، لأنها ببساطة قمة المتعة التي تبثها مثل هذه الألعاب السامة، فبعدما كان الطفل لا يطيق رؤية الدم أصبح يستمتع بإراقته.

- الإباحية الإلكترونية:

أجمع المشاركون في المؤتمر العلمي الأول حول "الأسرة والإعلام وتحديات العصر" الذي نظّمته كلية الإعلام بجامعة القاهرة سنة 2013م، على خطورة عشرات الملايين من المواقع الإباحية التي تقدمها الشبكة العنكبوتية لمتصفحها، حيث أكدوا أن انتشار هذه المواقع بشكل كبير ينذر بكارثة اجتماعية كبرى، فالإباحية تحولت إلى صناعة تدرّ عشرات البلايين من الدولارات سنوياً، وزوارها من المراهقين وهم الفئات الأكثر تأثراً بهذه القيم السلبية، وهو أمر يمكن أن يقود إلى حدوث خلل أسري واسع المدى، ومضاعفات خطيرة على الأطفال العرب، لاسيما أن هناك ما يزيد على 420 مليون صفحة إباحية، يدخلها حوالي 65 مليون زائر من الشباب والمراهقين، فتحوّلت إلى صناعة ضخمة تدرّ عائدات مالية بالبلايين. (15)

بعض مواقع الألعاب الإلكترونية على الإنترنت، يستهدف مروجوها نشر الآلاف من الصور الجنسية وعرضها على الأطفال دون سن الثامنة عشرة، والمثير أن هذه المواقع التي تحاول قتل أطفالنا فكرياً وجنسياً تعتمد على اجتذابهم من خلال فلاشات في غاية الإثارة، تدعو إلى المشاهدة والتصفح على الموقع ليجد ما هو أكثر إثارة ويرى ما لم تعتد عيناه مشاهدته، مستغلين حب الاستطلاع لدى الطفل والذي يتحول أحياناً إلى محاكاة وتقليد

ودون أن يعلم ماذا يفعل، تقوم هذه المواقع بعرض أفلام كرتونية ورسومات متحركة لشخصيات مشهورة في عالم الكرتون والرسوم المتحركة، أمثال أبطال النينجا وكابتن ماجد، كل ذلك لجذب أكبر قدر من الأطفال لمشاهدة الفيلم، الذي يتفاجأ بأنه فعلاً للشخصية التي يحبها لكنها تؤدي دوراً مختلفاً، ولا تقتصر عمليات الاستهداف الإباحي في مسألة مشاهدة الصور والأفلام الجنسية، بل تطورت الشبكات المختصة في ذلك لتقدم عروضاً يشارك فيها الطفل، ويكون أحياناً بطلها، فقد تم تفكيك عشرات الشبكات الإلكترونية التي تحرّض الأطفال على القيام ببعض العروض الجنسية عبر تقنية الكاميرا الحاسوبية، مقابل أموال يتلقونها.

الأطفال الجزائريون بدورهم عرضة لمثل هذه المساومات، فقد بين الاستبيان أن 92% من العروض الشبكية التي يفضلها أطفال العينة تتمثل في الدردشة بنسبة 20 %، الألعاب الإلكترونية بنسبة 51 % والأفلام والصور بنسبة 19 %، وهي مواقع وعروض لا تخلو من الإغراءات الجنسية والتحريض عليها، وما يزيد من خطر ذلك على الطفل الجزائري عدول الأولياء عن مراقبة المواقع التي يزورها أبنائهم، فقد بينت الإجابات أن 83% من الأولياء لم يسبق لهم أن رافقوا أطفالهم إلى مقهى الإنترنت أثناء استخدامهم للشبكة، رغم أن مثل هذا الفضاء كثيراً ما يكون سبباً في الانحلال الخلقي.

إن تفتح الطفل الجزائري في علاقاته مع معارفه عبر الشبكة قد يتحول إلى خطر حقيقي محقق به، حيث قد يقع فريسة سهلة لشبكات الدعارة التي تستهدفه. خاصة وأن 63% من أطفال العينة يقضون ثلاث ساعات فأكثر في عملية الدردشة عبر الشبكة، وهي مدة كافية لجذبهم ودفعهم إلى ممارسات لا أخلاقية، كما أفادت إجابات الأطفال أن 66 % منهم يتحدثون عبر تقنية "الشات" عن أمور حياتهم الخاصة وعلاقاتهم الأسرية وطريقة حياتهم، فيما أشار 23 % من الأطفال أنهم تلقوا عروضاً بدت لهم غريبة وغير أخلاقية، 15 % من هذه العروض فعلاً هي عروض غير أخلاقية تتمثل في تمرير صور جنسية بنسبة 8 %، وكلام بذيء بنسبة 5 %، وطلب للتعري أمام الكاميرا بنسبة 2 %، من خلال هذا نلاحظ حجم الخطر الذي يحوم حول الطفل الجزائري في مسألة الإباحية الإلكترونية عبر شبكة الإنترنت، والتي قد تعصف بأخلاقهم وطريقة تفكيرهم.

- الهوامش والإحالات:

1. عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1977، ص 190
2. عمار بوحوش، محمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي - أسس وأساليب، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، عمان، 1989، ص ص 126 - 127
3. عمار بوحوش، محمد محمود الذنبيات، مرجع سابق، ص 119.
4. يونس قرار، (رئيس شركة جيكوس لخدمة الإنترنت في الجزائر)، معلومات مستقاة من محاضرة ألقاها على طلبة الماجستير بكلية علوم الإعلام والاتصال بالعاصمة، تخصص مجتمع المعلومات، جانفي 2008.
5. نعمان أحمد، آثار وسائل الإعلام على الجمهور، الطبعة الثانية، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، 2001، ص 94.

6. قاسمي الحسني، محمد المختار، **مصطلحات ومفاهيم تربوية**، المركز الوطني للوثائق التربوية، مؤلف رقم 33، الجزائر، ص18.
7. عبد الوهاب بوخوفة، المدرسة، التلميذ والمعلم وتكنولوجيا الإعلام والاتصال، رسالة دكتوراه في الإعلام، جامعة الجزائر، 2006
8. سعيد بومعيزة، الأثر السوسيو - ثقافي لتكنولوجيا الاتصال الحديثة في الجزائر، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 14، دار الحكمة، جوان 1996، ص 196
9. Madeleine Grawitz, **Méthodes des sciences sociales**, 11eme 3 édition, Ed/ Dalloz, Paris ; 2004, P 393.
10. برهان غليون، التنمية الثقافية العربية بين التبعية والانغلاق، دار التنوير، بيروت، 2007، ص 83.
11. عبد الملك الدناني، الوظيفة الإعلامية لشبكة الأنترنت، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2001، ص 16
12. محمد لعقاب، **مجتمع الإعلام والمعلومات**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة.
13. لعقاب محمد، وسائل الإعلام والاتصال الرقمية، الطبعة الأولى، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 40
14. أحمد أبو الهيجاء، **المعلوماتية في الوطن العربي - الواقع والأفاق**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002، ص 123
15. المنصف وناس، **مضامين العولمة الاتصالية والثقافية**، مجلة الإذاعات العربية، العدد 2، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ص 13